قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما في حيزها التقدير ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب بالتاسي كما ينفعكم الاشتراك في مصايب الدنيا فيتاسي المصاب
بمثله ومنه قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولي • على موتاهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنه بالتاسي

والثاني انه مضمر تقديره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله يا ليت
بيني اي لن ينفعكم اليوم تمنيكم البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم
ظلمكم وجحدكم وعبارة من عبر ان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور
لا الحذف فان الفاعل لا يحذف الا في مواضع ليس هذا منها والمعنى لن ينفعكم
اليوم في الاخرة اذ ظلمتم اي اشركتم في الدنيا انكم في العذاب مشتركون اي
لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لان لكل واحد
من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل
لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في
العذاب كما كنتم تشتركون في الدنيا تنبيه استشكل المعربون
هذه الاية ووجهه ان قوله تعالى اليوم ظرف حالي واذ ظرف ماضي وينفعكم
مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل والظاهر انه عامل في الظرفين
وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد في ماض اوظرف هذا مما
لا يجوز اجيب عن اعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه لان
الحال قريب من الاستقبال فيجوز قال تعالى فمن يستمع الان وقال الشاعر
سأسعى الان اذ بلغت اناها • وهو اقناعي والا فالمستقبل يستحيل
وقوعه في الحال عقلا واما قوله تعالى اذ ففيها للناس اوجه كثيرة
قال ابن جني راجعت ابا علي فيها مرارا فاخر ما حصلت منه ان الدنيا
والاخرة متصلتان وهما سوا في حكم الله تعالى وعلمه فاذ بدل من اليوم
حتى كانه مستقبل او كان اليوم ماض والى هذا نحا الزمخشري على معنى اذ
تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين
ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني ولد كريمة
ولما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشي وصفهم بالصم والعمي بقوله تعالى
افانت اي وحدك من غير ارادة الله تعالى تسمع الصم وقد اصممناهم
بما صببنا في مسامع افهامهم من رصاص الشقا او تهدي العمي الذين
اعميناهم بما غشينا به ابصار بصائرهم من اغشية الخسارة روي
انه صلى الله عليه وسلم كان يجهد في دعا قومه وهم لا يزيدون الا تصميما
على الكفر وعنادا في الغي فنزلت اي هم في النفرة عنك وعن دينك بحيث
اذا اسمعتهم القران كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمي

وقوله

وقوله تعالى ومن كان اي جبلة وطبعا في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال
لا يخفى بين في نفسه انه ضلال وانه محيط بالضال مظهر لكل احد
ذلك فهو بحيث لا يخفى على احد فالمعنى ليس شي من ذلك اليك بل هو
الى الله تعالى القادر على كل شي واما انت فليس عليك الا
البلاغ فلا تتعب نفسك فاما نذهبن بك اي من بين اظهرهم
بموت او غيره وما مزيدة موكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون الموكدة فانا منهم اي الذين تقدم التعريض بانهم صم عمي
ضلال لانهم لم تنفعهم مشاعرهم منتقمون اي بعد فراقك
لان وجودك بين اظهرهم هو سبب تاخير العذاب عنهم او
نرينك وانت بينهم الذي وعدناهم اي من العذاب وعبر عنه
فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر باسلوبه فانا
اي بما لنا من العظمة التي انت اعلم الخلق بها عليهم اي على
عقابهم مقتدرون اي على كلا التقديرين واكد بان لان افعاله
افعال من ينكر قدرته وكذا بالاتيان بنون العظمة وصيغة
الافتعال فاستمسك اي اطلب واوجد بجد عظيم على كل حال
الامساك بالذي اوحي اليك من حين نبوتك والى الان في الانتقام
منهم وفي غيره انك على صراط اي طريق واسع واضح جدا مستقيم
اي موصل الى المقصود ولا يمنع اصلا ان يلحقه شي من عوج
وانه اي الذي اوحي اليك في الدين والدنيا لذكر اي لشرف
عظيم جدا وموعظة وبيان لك ولقومك قريش خصوصا لنزوله
بلغتهم والعرب عموما وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روى
الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشي حتى نزلت هذه الاية
فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا الامر بعدك قال لقريش وروى
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر
في قريش ما بقي منهم اثنان وروى معاوية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم
احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقال مجاهد القوم
هم العرب فالقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك
الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني
هاشم وقيل ذكر لك بما اعطاك من الحكمة ولقومك من المومنين
بما هداهم الله به وسوف تسالون اي عن القران يوم القيامة

بيان بلغتهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)